مع قصيدة الشكوى والحنين إلى الوطن للدكتور الوزير جنيد بن محمد البخاري
دراسة أدبية تحليلية

غزالي بلو
كلية شيخ شاغاري للتربية صكتو، نيجيريا

المستخلص:

ترمي هذه الدراسة إلى تحليل نص أدبي لبعض شخصيات أدباء نيجيريا وهو الدكتور الوزير جنيد بن محمد البخاري، وقد كان من قادة حركة الأدب العربي النيجيري في فترة الاستعمار إلى ما بعده من العصر الراهن، وقد كانت القصيدة لغرض من الأغراض الأندلسية الشعرية الحديثة لديهم حيث اختار الشاعر الشكوى والحنين إلى وطنه العزيز نيجيريا لما حل عليه من الإهانة والتحقير تجاه المستعمر الإنجليزي، وقد قام الباحث بتحليل تلك القصيدة تحليلا أدبيا مع استخراج بعض القيم الفنية لهذا النص الرائع، وقد ركزت المقالة على النقاط التالية:

- حياة الوزير جنيد بن محمد البخاري وشخصيته،
- أنشطة الوزير جنيد الأدبية مع شاعريته،
- عرض القصيدة: بعنوان الشكوى والحنين إلى الوطن،
- التحليل الأدبي للقصيدة،
- جو النص وأفكاره الرئيسية،
- القيم الفنية في القصيدة،
- الخاتمة
- المصادر والمراجع

الكلمات المفتاحية: *الشخصية الأدبية النيجيرية، التحليل الأدبي، القيم الفنية.*

ABSTRACT :

This study aimed to literary text for some of Nigerian personalities analysis, Dr. al-waziri Junaid bin Muhammad Al-Bukhari, was one of the Nigerian Arabic literature movement in the colonial leaders to beyond the current era, was a poem for the purpose of Andalusian- modern poetry have since picked poet the complaint and Nostalgia for Aziz and his native Nigeria to solving it from insult and vilification towards the English colonian, the researcher analyzed the poem with the literary analysis to extract some of the artistic values of this wonderful text, the article has focused on the following points:

- Al-waziri Junaid Bin Muhammad Al-Bukhari's life and personality,
- Al-waziri Junaid literary activities with poetic,
- Display poem titled complaint and ideas,
- literary analysis of the poem,
- Joe text and ideas home,
- artistic values in the poem,
- Conclusion
- sources and references

Key Words: *Nigerian Literature, Literary Analysis and Technical Values.*

المقدمة:

الحمد لله الذي جعل القرآن مصدرا للآداب والأخلاق في كل زمن وأمة، والصلاة والسلام على أشرف الخَلْق والخُلْق القائل في خطابه الشريف: (أدبني ربي فأحسن تأديبي) (ابن الجوزي،1/178/284) وعلى آله وصحبه ومن سلك سبيلهم بإحسان السلوك إلى يوم الدين.

وبعد: فهذه مقالة أدبية علمية تحمل في طياتها العمل الأدبي الفني لبعض قصائد واحد من شعراء نيجيريا، والذي قرض الأشعار في مختلف الأغراض الشعرية التقليدية، وهو الدكتور الوزير جنيد بن محمد البخاري وقصيدته في الشكوى والحنين إلى الوطن، وقد نتج ذلك لما حل على وطنه العزيز من كيد أعدائه المستعمرين المدمرين للثقافة الموروثة من الأجداد المتمسكين للدين الإسلامي، وقد تعاطت الورقة النقاط الهامة، منها:

- حياة الوزير جنيد بن محمد البخاري وشخصيته،
- أنشطة الوزير جنيد الأدبية مع شاعريته،
- عرض القصيدة: بعنوان الشكوى والحنين إلى الوطن،
- التحليل الأدبي للقصيدة،
- جو النص وأفكاره الرئيسية،
- القيم الفنية في القصيدة،
- الخاتمة
- المصادر والمراجع

يتفق الأدباء على أن الكلام لا يسمى أدبا, ولا يمت إلى الفن بنسب, إلا إذا اجتمع فيه روعة التأثير, وبراعة الفكر, ودقة المعنى, وجمال العبارة، ولطف الأسلوب وإشراقه (عبد الحميد محمود المسلوت/1973/ص:192). فإذا بلغ هذه الغاية والقمة, واستوفى تلك السمات، فلا بد أن يأخذ هذين اللونين: الشعر والنثر الفني (المسلوت/1973/ص:192).

هذا، فالشعر فن مهم يتناول أي موضوع يهم الكيان الإنساني، ويثير في الناس عاطفة واهتماما وخيالا وحسا مرهفا، ومتعة وسلوى، وتفكرا وحب المشاركة في الانفعال (زكريا حسين/ 2000/ص:4-5)، وكذلك يوجد الشعر في جميع لغات العالم، لأنه ناشئ من طبيعة الإنسان وغريزته، ولذلك صار الشعر في الأدب العربي أهم الفنون الأدبية من العصر الجاهلي إلى يومنا هذا، فلا عجب في هذا إذ نرى المؤلفين عامة يستشهدون بالشعر في جل مؤلفاتهم العربية حتى في تفسير القرآن، ولذلك قد قيل قدماً: "الشعر ديوان العرب" (زكريا حسين/2000/ص:4)

إذا كان شعر الشاعر لا يمثل إيمانه ووجهة نظره للحياة، فليس من الأمانة والصدق في شئ أن يسمي ذلك الشعر شعرا. لأن "الشاعر الذي لا نعرفه بشعره لا يستحق أن يعرف، لأن كلام الشاعر هو الصلة الكبرى بيننا وبينه، وإن لم يكن هذا الكلام معبرا عن نفسه واصفا لها ممثلا لشعورها فليس هو بطائل"

(العقاد/1969/ص:720) والصلة المعبرة لدى كل شاعر وما يشعر به قبل إخراج الشعر إلى عالم الوجود هي تلك البحور والأوزان الملوثة بالأغراض، حيث ترى الشاعر أحيانا محزونا مؤسفا، مهموما مغموما، أو في حالة الفرح والسرور مع البهجة، مترفا ملهونا، مشغوفا معشوقا، أو يصبغ مبرقا ملمعا بديباج الوعظ والإرشاد وغيرها من الأغراض والفكرة التي تتبعث وتبرق من طيش الشاعر الشعري فصار في تيح الحنين والشكوى، فتدفق في الوصف وغير ذلك من الأغراض التي طرقها شعراء نيجيريا قبل القرن العشرين الميلادي، فاتخذ هؤلاء الدفعة– 1904–2000م– نفس الدرب، وكذلك في استخدام اللغة والأسلوب والصورة نفس المنوال والنسق، فأتقنوا الذوق السليم، والحس المرهف في عملهم الأدبي الفني.

حياة الوزير جنيد بن محمد البخاري وشخصيته:

هو جنيد بن محمد البخاري بن أحمد بن غطاط بن ليم الفلاني، ولد بمدينة صكتو سنة 1325هـ الموافق 1906م وذلك بداية القرن العشرين بعد ثلاث سنين من احتلال الإنجليز لنيجيريا. كان من سلالة غطاط من جهة أبيه، ثم إنه من سلالة أسماء بنت الشيخ عثمان بن فودي من جهة أمه – رحم الله الجميع – توفي والده الوزير محمد البخاري بعد أربعة أعوام من ميلاده، وذلك في عام 1910م.(الحاج عمر أبوبكر/1981/ص:2–3)

نشأ الوزير جنيد يتيما، حيث توفي والده وهو ابن أربع سنوات، فأصبح في كفالة عمه الوزير محمد سمبو ابن أحمد، فاستمر في كفالته إلى أن توفي عام 1912م، وبعد وفاته انتقل إلى كفالة أخيه الأكبر الوزير عبد القادر الملقب بـ "مثطو" ابن الوزير محمد البخاري، وقد نشأ الوزير جنيد منذ طفولته بما يمتاز عن طفولة أترابه بكثير من الميزات، لأنه عرف بالشغف بالعلم وحب العلماء، ولم يعتاد اللعب مع الصبيان كما جرت العادة عند قبائل الفلانيين الهوسويين، (الحاج عمر أبوبكر/1981/ص:3) فأصبح في مصاحبة كل عالم أو طالب علم، حيث ساعده ذلك العّم على إيصاله ببعض فطاحل علماء المنطقة تشجيعا له وتحريكا لمشاعر طموحاته للمستقبل الممتاز في حياته.

وقد نشأ الوزير جنيد ولم يبال بشهوة الدنيا وبزخارفها، وانما كان جميع همه العلم، وكان ذا همة عالية، وبصيرة فائقة، وذكاء حادّ، واجتهاد كبير (أغاك/1999/ص:148). وقد ارتحل أثناء هذه الفترة التكوينية إلى البوادي ليأخذ اللغة الفلانية الصافية وتعليمها أيضا هناك إيمانا منه بذلك، ومحاكاة العرب القدماء في إرسال أبنائهم إلى البوادي تعليما للغة العربية الفصحى، خوفا من الوزير أن تتدرس وتتلاشى تلك اللغة الموروثة كابرا عن كابر، وكان يقضي في البوادي أياما بين الناطقين بها، فاكتملت شخصيته وحققت طموحاته تجاه تلك اللغة الأصيلة، حيث أجادها وأتقنها، الأمر الذي أدى إلى أن يؤلف ويدّون بها كتبا قيمة من نحوها وصرفها وغير ذلك من العلوم التي تجعل اللغة تتقوى ويثبت أقدامها في دنيا اللغويين.

هكذا، ما زال الوزير ينتقل من عالم إلى آخر، اتخاذا بإشارة أخيه الأكبر ومشورته إليه، فتلقى علوم اللغة العربية والإسلامية على أيدي عدد من شيوخ منطقة صكتو، ابتداء من مرحلته الأولى والتي تعتبر مرحلة ابتدائية لديه، حيث حفظ القرآن الكريم فيها، ولم يبلغ من العمر اثنتي عشرة سنة، ولما اجتاز هذه المرحلة المخصصة بالتعليم القرآني ومعرفة قسط من العبادات، واصل السير مسجلا في المرحلة الثانية.

إنها مرحلة تكوين واعداد حيث وسعت تلك المرحلة مداركه في العلوم العقلية والنقلية، من تفسير وحديث، نحو وصرف، بلاغة وأدب، تاريخ وفكر، وغيرها من العلوم، فاستغرق عقدين كاملين. (أغاك/1999/ص:150)

اتخذ الوزير جنيد مدرسة أستاذه الجليل معلم أبوبكر "بوبي" أيضا كمدرسته الجامعية للتخصص، حيث راجع معه الدراسات السابقة للعلوم، إضافة بها على جامعة أستاذه الثاني ألفا نوح آخذا منه تخصص الصرف وعلم العروض والبلاغة كتخصص معمق، وقد أعجب بهما أكثر من بقية أساتذته في المنطقة، فاجتمعت فيه خصال الأدباء والمؤرخين، وأنتجت قريحته قصائد رائعة، ونثرا بارعا في رحلاته (ولي جنيد/2000/ص:215).

ومما كوّن شخصيته الأدبية اللغوية إلى أن صار متناً أنه لا يمل بالمطالعة والإستماع إلى ما يزيده علما، ولم يزل نشطا في الأدب وقرض الأشعار والتاريخ زيادة على ما كان على عاتقه من أثقال الوزارة في خلافة صكتو، (مرتضى الحقيقي/2005/ص:31-33) فكان شرفا على شرف، ونورا على نور، يهدي الله لنوره من يشاء، فشاءت الأقدار أن يكون الوزير من بيت شرف وعلم وأدب وثقافة وحياء مع الإقدام، وينطبق بقول الروائي المنفلوطي قائلا: "يعجبني من الفتى الشجاعة والإقدام..." فجمع الله هذه الخصال في شخصيته – فتبارك الله أحسن الخالقين –فقد ألف كذلك مالا يقل عن ستين مؤلفا نظما ونثرا، أدبا ولغة وتاريخا نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

- الباكورة الجنية على اللغة الفلانية
- عقد المرجان على لغة الفلان
- ضبط الملتقطات من الأخبار المتفرقة في المؤلفات، وقد حققه الباحب تحقيقا ودراسة.
- شرح قصيدة تعريب أسماء
- الرحلة الفاخرة إلى ليبيا والسودان والقاهرة
- رحلة غينيا والسنغال والمغرب الأقصى وليبيا
- التحفة الزكية عن الرياض الحجازية
- الغصن الناضر في ذكر بعض قصائد عبد القادر بن المصطفى
- رحلة أغدس
- تأنيس الأحباء بذكر أمراء غُوْنُو مأوى الأصفياء
- تعريب قصيدة أسماء في التوسل بوليات الله
- قصائد التوسلات أدعية منظومة
- إفادة الطالبين ببعض قصائد أمير المؤمنين محمد بلو
- ديوان في القصائد التي امتدح بها أمير المؤمنين محمد بلو
- ديوان القصائد (مرتضى الحقيقي/2005/ص:31-33)

وفاته وأقوال العلماء فيه:

لقد انتقل الدكتور الوزير جنيد إلى جوار ربه المليك بعد مرض اشتد به خلال ثلاثة أيام وذلك في يوم الخميس الأول من شهر رمضان سنة 1417هـ الموافق التاسع من شهر يناير سنة 1997م. فاضت روحه الطيبة

المباركة إلى بارئها. ودفن بداره في حيّ غِطَاطَاوا بيت الوزارة بصكتو، ورثاه بعض علماء مدينة صكتو بمراث رائعة، منهم نجله البروفيسور سمبو ولي جنيد حيث يقول:

يا عين جودي منك بالمدراري	ننعى به ابن الوزير بخـاري
ذاك الوزير جنيد أوحـد عصره	بحـر العلوم بـزبده الـزخـار

إلى أن قال:

حفظ الشروح ومتنها فكـأنـه	يـوحـى إليـه لطائـف الأنـوار
ولذا تشرق في فنون النحـو أو	علـم العروض يمـوج كـالتيار
يغنيك ثـاقب فهمه عـن غيره	مـا غيـره يغنيك فـي الأخبار
والدهر يـأبى أن يجـود بمثـله	في الحلم والإحسان في الأقطار
غـبر الزمـان بسيبويـه زمـانه	وخليله فـي النحو والأشعـار
لـولاه مـالتاريخ جـرِ ذيلـه	خيلاء فـي الأزمـان والأمصـار
إذ يضبط التاريـخ ضبطا فائقا	طـلاعـه فـي الليـل والأسحـار
بكـت اللغات عريفها علامها	فالضاد أو فلفلد مـن سُيَمارِ

(ولي جنيد/1997/ص:1)

ورثاه غيره من المثقفين كالدكتور الأمين أبو منقة، إضافة إلى الصحف المحلية والإفريقية والعالمية التي نعته. رحمه الله تعالى رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جنته آمين.

إنه الوزير جنيد يعتبر عميد الأدب العربي النيجيري في القرن العشرين كما اعْتُبِرَ الدكتور طه حسين عميد الأدب العربي الحديث، هذه بتلك، لأن الوزير عالم نحوي، لغوي لامع، أديب بارع، وشاعر مجيد، مؤرخ دقيق، فاكتشف بهذا أنه من خيرة الكتّاب والأدباء في شمال نيجيريا في القرن العشرين الميلادي.

أنشطة الوزير جنيد الأدبية مع شاعريته

كانت شاعريته مفلقة، ومرهفة الحس، متجها نحو الكلاسكيين المحافظين إيمانا منه بأن الشعر القديم هو خير وسيلة للتجديد، وقد تظهر هذه الظاهرة ما يؤكدها تعليق المرحوم الشيخ عبد الله آدم الإلوري – رحمة الله عليه – على بعض أشعار الوزير جنيد بقوله: "وما أشبه هذا الشعر بأشعار شوقي وحافظ إبراهيم من أمراء الشعر الحديث..." (الإلوري/1977/ص:16) فاتفق الباحثون والدارسون على شخصيته الأدبية دون منازع، فانزوت في دائرته أبحاث ومقالات، ندوات ومؤتمرات عريقة في مجالات كثيرة متباينة في جامعات مختلفة، ومعاهد تربوية داخل نيجيريا وخارجها، كلها ملبية إلى عبقريته وحماسته وإبداعاته الفنية في اللغة العربية وآدابها.

وواضح أن الوزير جنيد قد عُرِفَ كأحد الشعراء الفحول الذين طرقوا ميدانا واسعا للشعر العربي الإفريقي خصوصا، وأثروا الأدب بالقصائد المختلفة التي تعالج القضايا الاجتماعية والثقافية والروحية، وتتجلى شاعريته أيضا بصفة خاصة في "أدب الرحلات" الذي عكس فيه مشاعره الجمة، وعواطفه الجياشة، من خلال مشاهداته الأنشطة والأنماط الاجتماعية والسلوكية والطبيعية للمجتمعات العربية والأفريقية التي زارها خلال أسفاره فيما بين الأربعينيات إلى الستينيات، (أحمد محمد كاني/2007/ص: 86) والشاهد في ذلك ديوان شعره الذي تضمن (39) قصيدة يبلغ عدد أبياتها (687) بيتا. (مرتضى الحقيقي/2005/ص:27-28)

لقد سبق أن ذكر الباحث أن أديبنا الوزير تطرق أغراضا مختلفة من الشعر كالمدح والرثاء والوصف الدقيق، والشكوى مع الحنين، والهجاء وغيرها كالشعر التعليمي والوعظ والإرشاد، وشعر الزهد والتوسلات والتصوف، وغير ذلك من الأغراض الشعرية المألوفة في المنطقة الأفريقية الصحراوية. ولكن الباحثين يقفان وقفة مختارة على أغراض أكثر تطرقا لدى الشاعر ومتانة في الأسلوب والتعبير مع التصوير، وهكذا... ثم يقومان بتحليلها تحليلا أدبيا. تعالوا معنا إلى غرفة قريحة شاعرنا قائلا فيها:

عرض القصيدة: بعنوان الشكوى والحنين إلى الوطن

ظعن الذين عهدت في ذا النادي ... ماذا وقوفك في الطّلول تنادي
وعلام تبكي من بكاء حمامة ... ـي أيكة تشدو على التّرداد
والدّمع يجري فوق نحري سائلا ... كالماء يجري في مسيل الوادي
ذهبوا فغوّر رسم دارهم البلى الـ ... ـمردي وطول تهجّر وبعاد
حتى كأن ذراهم لم يغشها ... ذو حاجة من رائح أو غاد
صارت مراتع للوحوش بعيد أن ... كانت مقاصد حاضر أو باد
أقوَتْ فلستَ ترى بها أبداً سوى الـ ... ـرياء لائذة على الأعـْواد
قامت تخاطبني فعزّ كلامها ... فلكم سكوت معلم بمراد
وتدير عينيها تشير بذاك نحْـ ... ـو النّهر غيّر ما ترى في الذّاد
وتلوّنت ففهمت منه تلون الـ ... أحوال في الدنيا فعزّ رقاد
لم لا أنادي في الطّلول وهذه الـ ... أطيار فوق غصونهنّ شوادي
ألوانها ما بين أبيضَ ناصع ... أو أحمرٍ أو مشربٍ بسَواد
تشدو وترقص في طُلَى أرياشها ... رقص القيان بحلّة الأعياد
أَبَفِي على طللٍ يمازحني متى ... ناديت خالفني على الْمُعتاد
نـاديته يا أيها ذا النَّادي ... فأجابني يا أيُّها ذا النَّادي
لّما سكتُّ نَنتْ إليَّ حمامة ... مغبّرة تبدو كَلْون رماد
فسألتها أين الذين عهدْتهم ... ـالتْ لقد بلغُوا على الميعاد
تُ اخْبرِيني من تخلَّف بعَدهُم ... قالتْ تخلف دولة الأكراد
مالي أرى دول الكرام وضيعة ... قالتْ علتها دولة الأوغاد
فسألت ما خلق الذين تخلفوا ... قالت ذوو فحش وذوو أحقاد
لا تكذبيني يا حمامة اكشفي ... قالت ذوو حسد ذوو إفساد
هل يحسد الرجل الكبير صغيره ... قالت كذلك عادة الأكراد
فسألتها مالي أراك هزيلة ... قالت لبست علّي ثوب حداد
ماذا وقوفك ها هنا في وحشة ... قالت لأندبهم على الأوتاد
هلا قفوت إليهم آثارهم ... قالت قعدت لقلة الأوزاد
رحم الإله جميع من مكثوا هنا ... أهل التقى والجود والإرشاد
وأعاد دولة من عهدت بهم هنا ... آمين وشتت دولة الأوغاد
ثم الصلاة على النبي وآله ... وصحابه أبدا إلى الميعاد

جو النص وأفكاره الرئيسية:

كثير من الباحثين الأدبيين النيجيريين وغيرهم قطروا بأقلامهم تحليلا لهذه القصيدة الرائعة والتي تعتبر من روائع ما قيل من الشعر العربي النيجيري فيما يمس بمناسبة الشكوى والحنين إلى الوطن (رفاعي ألحاج إسماعيل/1433/ص:169) إنها تعبير وجداني أحس به الشاعر ألما، وألقاه في غياهب التيه، فانبرى في تلك الحالة بهذه الدردشة المتهززة ليمثل بها الظروف القاسية والأحوال المتغيرة تماما التي وقعت فيها الدولة الإسلامية العثمانية في نيجيريا، والتي تمركزت في آخر مطافها في إقليم صكتو، وذلك أثناء دخول المستعمرين ونجاحهم في تمزيق صفوف المسلمين، وطمس الروح المعنوي فيهم، وهتك أستار تلك الشعائر الإسلامية السمحة، فاكتمنت فكرة هذا النص في تبرق الشكوى والحنين إلى هذا الوطن العزيز المنهزم من قِبَل المستعمرين، فعبر تعبيرا مدقّقا على التجربة الشعرية الصادفة والأزمة النفسية العارمة التي ألمت به واستولت على حالات يعاني منها فكرا ووجدانا.

التحليل الأدبي للقصيدة:

إن الشاعر وقف واستوقف، بكى واستبكى محاكيا عادة الشعراء في الجاهلية لكن ليس البكاء للمحبوبة أو المعشوقة بل وقفة مدهشة يبكي فيها بكاء شديدا بالنوح والصياح، متخيرا وصّافا فيها بيئته التي كانت مكتظة بالناس الأفاضل الشرفاء من العلماء والحكام، تلك الديار الخالية التي ساءت حالها، واختلط جوّها من عطر إيماني بنَتْن الكفر والفساد، بيئة وعرة سكانها ماتوا، فسال الدمع تجري على نحره كالماء الجاري في مسيل الوادي. لم يحصل الشاعر من يساعده أو يجاوبه في هذه الوقفة والبكاء معا، فأجاب عن سبب بكائه أنه رأى تغيير هذا المكان، نعم! صار قفرا فيناء جافا يبسا، اندثر وتلاشى أثره فكأنه لم يُمْكَث فيه يوما، بعد أن كان خصبا خضراء، ومأوى لذوي الحاجات والمعاملات من الحضريين والبدويين.

لقد صوّر الشاعر في هذه القطعة الأولى من القصيدة حالته المؤسفة، وغيظه على استيلاء المستعمرين الإنجليزيين من وطئهم لغته الأصيلة العريقة – وهي لغة الضاد – والتي بها تجري معاملة الناس كلغتهم الرسمية، حيث دنسوها ورموها بعقم وتخلف وبداوة لأن لسان الحال – وإن لم ينطقوا بها – هو الذي يكشف هذا الستار، ضربوا بها عرض الحائط، فجعلوا لغة الإنجليزية هي السائدة المستعملة، أو اللغات المحلية المكتوبة بالحروف اللاتينية.

ففي القطعة الثانية من القصيدة مشهد جسّد فيه الشاعر تجربته وفطنته الأدبية، مشهد وقع في قلبه الرهب والخوف من أنه تخيّل في وجدانه مناقشة لطيفة، وحوار دار بينه وبين وحشية ضعيفة لا يرجى منها النجاة والفلاح، إنها مستعينة دائما ببعض العوض اليابس تقوية على مشيها وهي "الحرباء" مقولة من الشاعر قائلا:

أقَوِيْتَ فلستَ ترى بها أبداً سوى الـ ... ـرباء لائذة على الأعواد

ذلك لما حلّ عليها من إهانة المستعمر لها وسوء معاملته معها، ومحاولته طردها واختطاف ثرواتها وأمتعتها، ما هي إلا مجتمعه المضطر المتقلب الذي صار ساكتا لا ينطق ولا يتحرك، فكان السكوت أبلغ من التعبير عما في خلجات نفسها من مشاعر القلق والغم والضجر، حالة تنبئ بما في ضميرها وما يظهر في جسدها من تلوين

وتغيير بألوان مختلفة، فاستشف الشاعر من إيحاء تلك الضعيفة اللائذة تغيير الزمان والأحوال وما يجري في واقع الأمر في تلك الفترة، من القمع والظلم والطغيان والفساد وغيرها.

فالقطعة الثالثة من القصيدة مشهد تدفق فيه الشاعر إلحاحه ولججه في بحور الوصف لهؤلاء الفسقة الطغاة، الذين اتخذوا تلك الديار عمارة مُزيّنة بتفريش اللذائذ والحلويات، فشبههم بالطيور المنعمة فوق غصون الأشجار ترقص وتغني بالزغرد في حلل فاخرة تحت ظل الإستعمار وسلطته، فازداد حزن الشاعر شدة وحرارة ذلك لتخييله وتخمينه ذكرى الصالحين، وتحننه لأرضه الطيبة العزيزة، لاسيما حين خاطب مَنْ بهذا المكان الذي عهده وتعّود معه قائلا:

نـاديتـه يـا أيهـا ذا النَّـادِي فـأجـابنـي يـا أيُّها ذا النَّـادي

أتبعت حاسية الشاعر ولباقته في هذا التصوير الدقيق، تجسيد هذا المشهد وتقمصه حيث ألزمه الصمت برهة بعد التعب والإلحاح في النداء، فإذا بحمامة مغبرة، كناية عن حزنها الشديد مغمومة مهمومة، وتحسرها العميق، ولعلها من بقايا الذين ألفهم، دنت إليه فقدمت تعزيتها إليه مرفقة بالتسلية والعطف، فبان للشاعر أنها صادقة القول فاستأنس بها، واطمأن إليها، واسترسل إليها تساؤلات ودار بينهما حوار رائع، ومناقشة جانبة، فكانت هي قادرة على الجواب، ومستعدة مهما كلفته تلك التساؤلات.

لقد استهل الشاعر تلك التساؤلات بما في صيد خاطره من أولئك الفطاحل الذين عهد بهم في هذا النادي، وقضية الذين جاؤا بعدهم وخلفوها، فأجابت دون بطء وتوان أنهم ماتوا، فكلهم إلى الميعاد، فقال: أين الذين خلفوها؟ فقالت متأكدة بأن الذين تسلموا مقاليد الحكم قوم حمقى ديدنتهم الفساد والحسد وإظهار الفواحش من الأقوال والأفعال آمرين بها. فسألها عن الأمر الذي حيّره ويرى فيه تناقض مِنْ أنَّهم الحكام وعلية القوم مع ذلك يحسدون رعيتهم وفقراءهم؟ فأجابت بأن ذلك جبل عليه المستعمرون وهو شيمتهم، فكّر سؤالها عن سبب هزالها وتغير لونها وبؤسها؟ فأجابت بأنها ستظل تلبس ثوب الحداد مغبرة معبوسة على ضياع مجد تلك الخلافة وذهاب هيبتها ومكانتها العلمية، مع انخطاط رقيّها في المجتمع قاطبة. فسألها عن وقوفها على الأطلال مع عدم اقتدائها وانتفاعها بآثارهم؟ فأجابت بأنها لن تزال في هذه الحالة السيئة في قومها وهي تنادي سلالة الذين مضوا أن يستردوا مجدهم الذي غبر وتلاشى. ففوجئت بانقراض زادها ولا يوصلها إلى أولئك الفطاحل والجبال الراسخة في الفضل والعلم والأخلاق، فلذلك رجعت من حيث بدأت.

فاختتم الشاعر قصيدته كعادة شعراء الإفريقيين بالدعاء، ذلك لتمسكهم بالدين الإسلامي وتشبيب تلك الخصلة في نفوسهم الزاهية، فاستلجأ بالانقياد إلى الواحد الأحد ليبرد ويشفي ما يعانيه الشاعر من جملة ما ذكر في القصيدة قائلا:

رحـم الإله جميع من مكثوا هنا أهـل التقى والجـود والإرشـاد

وأعـاد دولة من عهدت بهم هنا آمين وشتت دولـة الأوغـــاد

ثم الصلاة على النبي وآلـه وصحابـه أبـدا إلـــى الميعاد

فاستخدم صيغة الماضي بمعنى الأمر "رحم" وهو من ديدنة أدباء أفريقية في قصائدهم تيقنا منه أن الله مجيب المضطر إذا دعاه وهو رحيم ولا يزال في صفته القديمة يرحم عباده بلطف ومغفرة وإفضالا، فدعا بالرحمة على

جميع من مكثوا في تلك الديار الخالية، والذين تخلقوا بالتقى والجود والإرشاد، وأن يعيد لهذه الدولة خلافتها بالمجد والقيادة الحسنة، وأن يشتت دولة هؤلاء الأوغاد الفسقة، ويبددهم بالدمار والزلزال مع الخسفة. ثم استرسل بالصلصلة على النبي الأكرم والذي به تكمل الشهادة محمد صلى الله عليه وسلم وآله وصحابته سرمدا وأبدا إلى الميعاد.

القيم الفنية في القصيدة:

إن كل عمل أدبي يحتاج إلى تلك الصياغة الفنية التي هي المعيار الذي تقيم به الأعمال الأدبية وتمنحها حياتها البهية، لأن الفن في العمل الأدبي جماله وحسن التعبير فيه. إذن، فالشعر ليس عملا سهلا ساذجا كما يعتقده كثير من الناس بل هو عمل معقد غاية التعقيد وهو مقرون إلى الصناعات والفنون الجميلة من نحت وتصوير ورقص وموسيقى" (شوقي ضيف/1987/ص:13) وكما يقول عبد الرزاق البصير "متغلغل في حياة الإنسان، فأنت لا تكاد تجد شيئا يستعمله الإنسان في حياته إلا وترى للفن فيه تأثيرا كبيرا" (البصير/ص:41) يستوقف الباحث ويسترعى انتباهه في بعض تلك القيم الفنية المذكورة في هذه القصيدة الرائعة، والتي تحمل في طياتها تلك الأداء الفني، الذي يرضي القارئ ويثير أحاسيسه أثناء وقفته عندها، معجبا بها أشد الإعجاب.

فالعاطفة عنصر من عناصر تلك القيم الفنية، وهي موضوع العمل الأدبي ومناط الحكم الذي يميز عن غيره بل خاصية الأدب وأساسه، حيث هي تعبير عن تجربة الشاعر وتصوير ما في خلجات نفسه إيمانا منه بهذا الشعور، وقد ذكر ذلك سيد قطب رحمه الله قائلا "العاطفة هي التعبير عن تجربة شعورية في صورة موحية" (سيد قطب//ص:7) كلما افتقد هذا العنصر فقد فُقد الأدب روحه وحياته، يقول الدكتور عبد الحليم: "والعاطفة من أهم العناصر المكونة للأدب وهي التي تمنح الأدب البقاء على مر العصور والأيام... وهي عنصر ثابت قلما يحدث فيه أدنى تغيير وتبديل" (علي عبد الحليم محمود/1982/ص:77)

وبناء على ذلك، فإن الوزير جنيد قد عبر في هذه القصيدة بعاطفة صادقة، وقوية صارمة، إذ أنها تعبّر عن حزنه الشديد، وشكواه مع حنينه تجاه بلدته العزيزة لاستيلاء المستعمرين الفسقة عليها. تعبير يشارك المستمع في معاناة الويلات والأسفات والتعاسات، مزاحما تلك العاطفة بوضوح لامع، وبأسلوب جذاب رائع، حيث جلّدها بالسلس الرصين من اللغة، واللبن القوي من العبارات الراقية، واستطاع أن يصف القضايا العاطفية في شكل خيالي، حيث انبعثت منه فلسفته الشعرية من أن يتعطى الحوار الدقيق بينه وبين الحيوانات المفترشة، فاتجه نحو الإتجاه القصصي، ذلك ليؤكد في ذهنه صفة مشهورة، والتي اكتشف منها الباحث البطولة والإقدام في إنظار بنو عمومته والوعي بما حلّ على بلدته أمام عدّو فاجر لئيم، وهذا نوع من القيم الفنية. يقول بعض النقاد العرب: "أن أكثر الحوار الشعري الذي استخدمه الشعراء كان يعتمد التجريد، يختلفه الشاعر ليؤكد نفسه صفة مشهورة، فمحاورته للفرس والغول يؤكد فيهما شجاعته، ومحاورته للذئب يؤكد إلزامه للضيف، ومحاورته للمرأة التي تظهر خوفها من الإنفاق يؤكد كرمه، ومحاورته للمرأة التي تظهر خوفها من المخاطر يؤكد بطولته، وكل محاولة من محاولات الحوار هذه تظهر صفة من صفاته، وتؤكد رمزاً من الرموز التي قدمها مستخدما أسلوب التجريد الذاتي أحس فيه قدرة التعبير ومجالا لمخاطبة الذات" (القيشي نوري/1979/ص:14)

وقد نجح الشاعر الوزير جنيد في تلك التجربة والتي أحس بها في شعوره، فعززت القصيدة بهذه العاطفة تعزيزا لا مثيل له، فصيرتك تحس بما يحس به خالقها، وتنفعل بنفس الانفعالات والتهزز، مكبّا في حفرة الحزن والغم،

تعشقا نحو تلك الطيبة العزيزة، المدمرة لدى المستعمرين، مغتصبة منهزمة، مهجورة من قبل سكانها الأصليين، وصفات وانفعالات نجح فيها الوزير جنيد بنقلنا إلى عالم لم يتعوده النفوس الحاضرة، هذا، مما يجعل الأدب في ميزة راقية كما يرى العقاد: "أنه لا نجاح للشاعر إذا هو لم ينجح في نقلنا معه إلى ذلك الموقف الذي كان فيه، وإشراكنا معه في نظرته التي نظر بها حين نشأ قصيدته، إن نجاحه هو أن يجعلنا نحس بما أحس ونشعر بما شعر ونعيش في جوّ، وننفعل بانفعاله، ونقول هذا ما كنا نقوله فعلا لو كنا مكانه وانه بذلك يعبر عنا ويترجم عما في نفوسنا" (أبو كريشة/1976/ص:46).

وإذا نظرنا إلى الألفاظ والمعاني لهذه القصيدة نراها جيدة الوضع، حسنة السبك، فلا غرابة فيها، أو مستكرهة وحشية غير مألوفة، لأن الشاعر يتحرى دقة اختياره للألفاظ لتناسب معانيها المبتغية المرام المنشود مثل كلمتي: "حاضر" و "باد" إذ أن الحضارة مقابلة البداوة حيث أن الحضري يُعنى به ساكن المدينة، وأن البدي يُعنبه ساكن القرية والبادية فكلاهما محتاج لآخر، ولا حياة الهادئة العادية بدون معاونة بعضهما البعض، وقد تحملان معان كثيرة وتحليلات فضفاضة حيث أوجزها الشاعر في أوجز لفظ، وقد أكد ذلك قول الشاعر:

الناس للناس من بدو وحاضرة * بعض لبعض وإن لم يشعروا خدموا

وكذلك في التقليد والابتكار في القصيدة حيث اختار الشاعر في الكرة الأولى ألفاظ: "الوقوف" و "الطلول" و "تنادي" و "تبكي" و "الدمع" و "رسم" و "الدار" كلها ألفاظ تقليدي صرفا، فإنه قلد شعراء القدامى في وضع أشعارهم، وهي ألفاظ توحي إلى معان منها: مناشدة الرفيق واستوقفه، وذكر الديار والدمن والآثار، ومخاطبة الربع وشكاوة الشاعر فيها، وقد قال أحمد أحمد بدوي: "ليكون ذريعة لذكر أهلها الذين نزحوا عنها، وفارقوها، ويصل ذلك بالنسيب فيشكو شدة الشوق، وألم الوجد والفراق، وفرط الصبابة ليميل إليه القلوب، ويصرف نحوه الوجوه، ويستدعي به إصغاء الأسماع إليه، ثم ينتقل بعد ذلك إلى ما يستوجب به الحقوق" (أحمد أحمد بدوي/ص:296) فقد أنجز الشاعر هذا الدرب كتفا بكتف، ساقا بساق، حيث استعمل نفس العبارات والمعاني ساقها في المصدر والينبوع ذوقا مرهفا ومهذبا، أمزجها ببيئته يتدفق السامع إلى التنبيه والإصغاء لما يأتي وراءها، استمع يقول:

ظعن الذين عهدت فـي ذا النادي ... ماذا وقوفك في الطّلول تنادي

وعــلام تبكي بكـاء حمامة ... نـي أيكـة تشدو علـى التّرداد

والدّمع يجري فوق نجري سائلا ... كالماء يجري في مسيل الوادي

وفي الكرة الثانية من الكلمات ابتكار في استعمال الشاعر مثل: "الدنو" واسم "حمامة" و "أخبريني" و "قلت" و"قالت" و "وقوفك" كلمات انبثقت في بوتقة الحوار الذي دار بينه وبين تلك الحمامة مغبرة، وهو طراز يتجه به نحو الإتجاه القصصي في ابتكار مبدع حلوي، حيث توحي اللفظة الأولى إلى المقاربة والمجالسة والمقابلة، والباقي تدل على الممتَحَن مع ممتَحِنه في الحوار، وكذلك أسلوب الحوار في كلمتي "قال" سؤال الممتحن و"قالت" جواب الممتحن له وهكذا. هذه النظرية "التقليد والابتكار" من أهم المقاييس التي تجعل الشعر في رشاقة وطلاقة، وتمنحها الجذالة، وقد نجح الشاعر الوزير جنيد في تطبيق هذه الآلية في العمل الأدبي.

وفي القصيدة تشبيهات وكناية حيث شبه الشاعر جريان دموعه وسيلانها على خديه بالماء الذي يجري في مسيل الوادي في الدقة والتدفق، وهو تشبيه المحسوس بالمحسوس، ذلك لكثرة تلك الدموع وغزارتها، وطول

سيلانها منحدرة إلى صدره ومتجاوزة إلى وطئة قدمه. وكذلك في تشبيهه لهؤلاء المستعمرون بالأطيار المنعمة فوق غصون الأشجار، تفتخر بحللها، وترقص وتزغرد، حيث اكتفى بذكر المشبه في البيت دون أن يساذج باقي أركان التشبيه في القطع الأبيات لاضطرابه النفسي التي جعلته أقرب إلى استخدام مصطلح سريع النفاذ، قريب التوصيل لما يريده في وقت أقصر، فالمشترك بين الأطيار والمستعمرين هي الكثرة والجموع في أندية واحدة، متفقون في مشورة واحدة. وكذلك الكناية في القصيدة في عبارة "حمامة" الموصوف التي وصفها الشاعر بالمغبرة لونها كلون رماد، بدل أن يعبر بالتعبير الحقيقي وهو "مجتمعه الذي نشأ فيه، تغيّر تماما من عهده بصلاحة وإيمان وإرشاد إلى فساد وفسق وظلم مع إفشاء الفواحش"، فنراه انعدل إلى ما هو أبلغ وأشد تأثيرا في النفوس وذلك بالكناية عن الحمامة ببعض الصفات التي يكون موضعا وهي مغبرة – كلون رماد لأنها صاحبة ريش ملون بأشكال مختلفة ومجاور بما هو رماد أو غبار أو ما هو على هيكل ترابي.

الخاتمة

تلك هي الكرة الأولى بالنسبة لهذه القصيدة التي قالها صاحبها الأديب النحرير الذي عاش في فترة ما بين 1904–1996 الميلادي بوطننا العزيز نيجيريا.

إن الوزير جنيد علم من أعلام أدباء نيجيريا في الفترة المذكورة بالذات، والذي روّج ثقافته الشعرية حتى صار من فطاحلها، الأمر الذي أدى إلى أن يشار إليه بالبنان، ويسمى بـ أعجوبة هذه التجربة الشعرية، لا يمل سماعه من استمع إلى أدبيته. مركزا على قصيدة واحدة من قصائده الرائعة، فحاول الباحثان تحليلها واكتفا بذكر أهّم سمات القيم الفنية أثناء هذا التحليل، لأننا قد يطول الحديث إذا أردنا أن نستوعب الملامح الفنية والتعبيرات البيانية فيما قصده الباحث، وكذلك فيما اكتمنته القصيدة من تلك المكانكيات التحليلية. فما قل وكفى خير... والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمد وآله وصحبه ومن سلك سبيلهم إلى يوم الدين.

المصادر والمراجع

المصادر:

1- الحاج عمر أبوبكر،(سنة 1981م) الوزير جنيد كناثر، بحث قدم إلى جامعة صكتو، قسم اللغة العربية.

2- الإلوري، الشيخ المرحوم عبد الله آدم،(سنة 1988م) أشعة العقول على أضواء القنديل والفضول، مطبعة الثقافة الإسلامية أجيجي، لاغوس نيجيريا، ط/1.

3- البصير، عبد الرزاق، تأملات في الأدب والحياة، مكتبة الأمل الكويت السالمية.

4- العقاد، عباس محمود: (1969م) ساعات بين الكتب دار الكتاب العربي بيروت.

5- القيشي، الدكتور نوري حمودي، والبياني، الدكتور عادل جاسم، وعبد اللطيف، الدكتور مصطفى، (سنة 1979م – 1399هـ) دار الحرية – بغداد.

6- رفاعي ألحاج إسماعيل، (الدكتور) (سنة 1433هـ) ملامح المذاهب الأدبية في شعر العربي النيجيري بين فترة 1903 – 1960 عهد الاستعمار دراسة أدبية تحليلية. بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية بجامعة عثمان بن فودي صكتو، نيجيريا.

7- زكريا حسين، (2000م) المأدبة الأدبية لطلاب العربية في أفريقيا الغربية أوتشي، دار النور، الطبعة الأولى.
8- سيد قطب، (دون ط ت) النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الفكر العربي،
9- سمبو ولي جنيد، (البروفيسور) (سنة 2000م) الوزير جنيد وتطبيقه للتربية الإسلامية في حياته العلمية، مجلة كلية الآداب والدراسات الإسلامية بجامعة عثمان بن فودي صكتو، نيجيريا.
10- شوقي ضيف، الدكتور، (1987م) الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف القاهرة.
11- عبد الحميد محمود المسلوت, (1973م) الأدب العربي بين الجاهلية والإسلام الجامعة الليبية,الطبعة الأولى.
12- عبد الباقي شعيب أكاك، (البروفيسور) (سنة 1999م) المطارحة بين الوزير جنيد ونجله سمبو ولي جنيد، مجلة النهضة مركز الدراسات الإسلامية، جامعة عثمان بن فودي صكتو، نيجيريا.
13- علي عبد الحليم محمود، (1982م) النصوص الأدبية تحليلها ونقدها، شركة مكتبات عكاظ، جدة. ط2.

المراجع:

1- أخرجه ابن السمعانى في أدب الإملاء (ص1- طبعة العلمية) وابن الجوزى فى العلل (178/1، رقم 284) وقال: لا يصح، وفيه مجهولون وضعفاء. والحديث ذكره السخاوى فى المقاصد (ص 39، رقم 45) وضعفه، وكذا العجلونى (ص72، رقم 164). وفي رواية ابن عساكر عن محمد بن عبد الرحمن الزهري عن أبيه عن جده" أن أبا بكر قال: يا رسول الله! لقد طفتُ في العرب وسمعت فصَحَاءَهم فما سمعت أفصح منك، فمن أدّبك؟ قال: (أدبني ربي ونشأت في بني سعد).
2- عبد الحميد محمود المسلوت, الأدب العربي بين الجاهلية والإسلام الجامعة الليبية, الطبعة الأولى 1973م, ص: 192
3- عبد الحميد محمود المسلوت, المرجع نفسه, ص: 192
4- كريا حسين، المأدبة الأدبية لطلاب العربية في أفريقيا الغربية أوتشي، دار النور، الطبعة الأولى 2000م ص: 4. 5- زكريا حسين، المرجع نفسه، ص: 4.
6- العقاد، عباس محمود: ساعات بين الكتب دار الكتاب العربي بيروت 1969م(ص:720)
7- الحاج عمر أبوبكر، الوزير جنيد كناثر، بحث قدم إلى جامعة صكتو، قسم اللغة العربية سنة 1981م، ص: 2.
8- الحاج عمر أبوبكر، المرجع نفسه، ص: 2-3.
9- عبد الباقي شعيب أكاك، (البروفيسور) المطارحة بين الوزير جنيد ونجله سمبو ولي جنيد، مجلة النهضة مركز الدراسات الإسلامية، جامعة عثمان بن فودي صكتو، نيجيريا. سنة 1999م ص: 148
10- المرجع نفسه، ص: 148.
11- المرجع نفسه، ص: 15

12- سمبو ولي جنيد، (البروفيسور) الوزير جنيد وتطبيقه للتربية الإسلامية في حياته العلمية، مجلة كلية الآداب والدراسات الإسلامية بجامعة عثمان بن فودي صكتو، نيجيريا. سنة 2000م ص: 215.

13- عبد السلام مرتضى الحقيقي/ من مراثي الوزير جنيد المرجع السابق، ص:31-33 بمراجعة معلم إبراهيم غندي مع الباحث يوم الأربعاء 2012/07/22م في الساعة الخامسة مساء في بيته.

14- قصيدة البروفيسور سمبو ولي جنيد في مكتبة الباحث الخاصة ص: 1

15- الإلوري، الشيخ المرحوم عبد الله آدم الإلوري، أشعة العقول على أضواء القنديل والفضول، مطبعة الثقافة الإسلامية أجيجي، لاغوس نيجيريا، ط/1 سنة 1988م ص: 16.

16- أحمد محمد كاني، آخر المحققين، حوليات الجامعة الإسلامية بالنيجر، العدد الرابع، ص: 86.

17- عبد السلام مرتضى الحقيقي، من مراثي الوزير جنيد، المرجع نفسه، ص: 27-28.

18- رفاعي ألحاج إسماعيل، (الدكتور) ملامح المذاهب الأدبية في شعر العربي النيجيري بين فترة 1903 – 1960 عهد الاستعمار دراسة أدبية تحليلية. بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية بجامعة عثمان بن فودي صكتو، نيجيريا. سنة 1433هـ ص: 169.

19- شوقي ضيف، الدكتور، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف القاهرة، 1987م ص: 13.

20- البصير، عبد الرزاق، تأملات في الأدب والحياة، مكتبة الأمل الكويت السالمية. ص: 41.

21- سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الفكر العربي، دون ط ت، ص: 7.

22- علي عبد الحليم محمود، النصوص الأدبية تحليلها ونقدها، شركة مكتبات عكاظ، جدة. ط2 1982م ص: 77.

23- القيشي، الدكتور نوري حمودي، والبياني، الدكتور عادل جاسم، وعبد اللطيف، الدكتور مصطفى، دار الحرية – بغداد، سنة 1979م – 1399هـ ص: 14.

24- نقلا من كتاب طه مصطفى أبو كريشة، في ميزان النقد الأدبي، دون طبعة، سنة 1976م. ص: 46.

25- أحمد أحمد بدوي، أسس النقد الأدبي، ص: 296.